وقفة مع كتاب:
اللهجات العربية الغربية القديمة
تأليف: تشيم رابين
ترجمة: د. عبدالرحمن أيوب

الدكتورعبدالكريم مجاهد
جامعة البنات الأردنية

يحتوي الكتاب بعد التصدير على أربعة عشر فصلاً ، منها المقدمة. هذا غير الببليوغرافيا والمختصرات والإضافات والفهارس في آخر الكتاب.

وموضوع الكتاب، كما هو مفهوم من عنوانه، هو الظواهر اللهجية العربية القديمة في غرب الجزيرة العربية. وقد تناول في حديثه سمات لهجة اليمن بإجمال في الفصل الرابع، وقد فصّل القول فيها في ثلاثة فصول لاحقة عن حِمْيَر والأزد وشمال اليمن. وفتح فصلاً لسمات لهجة هذيل. وكذلك فصّل القول في لهجات الحجاز، فجعل فصلاً للعلل، وآخر للصوامت، وثالثاً لصرفها، ورابعاً لنحوها، فكان الفصل الرابع عشر عن سمات لهجة طيىء. وهذه هي اللغات الغربية التي تمثلها لغة أهل الحجاز، في مقابل اللهجات الشرقية التي تمثلها لهجة بني تميم غالباً.

وحديثي في هذه المراجعة هو ملاحظات على الترجمة التي قام بها الأستاذ الدكتور عبدالرحمن أيوب، الذي عُرف بالتدقيق والضبط وبالمنهجية العلمية في مؤلفاته، إلا أنه في هذا الكتاب لم يكن في مستوى مؤلفاته التي نعرفها من الضبط والتحقيق والالتزام بالمنهجية العلمية المفترضة عند ترجمة كتاب يخص التراث العربي المكتوب بلغة أجنبيّة. وتفصيل هذه الملاحظات كالتالي:

أولاً: عدم رجوعه إلى النص الأصلي في مظانّه، وإنما كان يقوم بترجمة النص

الإنجليزي بلغته. والأَوْلى في مثل هذه الحالة أن ينقل النص بلفظه العربي من مصدره؛ لأن هناك فرقاً بين النص بلغته الأصلية وبين النص مترجماً إلى الإنجليزية ثم إعادة ترجمته إلى العربية. ولا يخفى ما في ذلك من تغيّر في فهم النص؛ إذ النص الإنجليزي تعبير عن مفهوم المؤلف، ونقل النص الإنجليزي إلى العربية تعبير عن مفهوم المترجم. وهكذا تعددت المفاهيم وأصبحت كأنها هي الأصل. وكان الأحرى بالأستاذ أن يتفضّل باقتباس النص الأصلي ولو في الهامش؛ لأن الترجمة الإنجليزية قد تكون غير دقيقة. وذكر النص الأصلي العربي يتيح للقارىء، خاصة الباحث، المقارنة والتمييز بين فهمه وفهم ناقله إلى الإنجليزية. فانظر، أيها القارىء، كيف كانت ترجمة النص الأصلي وهو «تيامنوا عن كشكشة تميم وتياسروا عن كسكسة بكر» حيث يقول المترجم العربي عن النص الإنجليزي (ص٥٣، فقرة ز): «تتجنّب كشكشة تميم عن يمينها، وكسكسة بكر عن يسارها..؟! إنها ترجمة حرفية لا معنى لها تمت دون الرجوع إلى النص الأصلي.

ومما يمكن إلحاقه بالملاحظة السابقة النُّقول التي يذكرها المؤلف بإجمال، ويشير إلى مصدرها. وفي تصوري أن المسألة في الترجمة تكون أقرب إلى التحقيق الذي يقتضي من المترجم الاعتناء بالتوثيق، بأن يرجع إلى المصدر الذي نقل عنه المؤلف، ويقتبس النص في الهامش على الأقل؛ لأن فيه وضوحاً ودقة أكثر. وقارن معي بين ما ذكره المترجم (في الفقرة ص/ ص٥٤): «إن القرآن بأكمله نزل بهذه اللهجة (يقصد لهجة قريش) لأنها عذبة صافية»، وبين ما جاء في النص الأصلي «إن كلام قريش سهل ليّن واضح». وأظنك تدرك معي أن السهولة والوضوح غير العذوبة والصفاء، فالوصفان الأخيران يصلحان وصفاً للماء أكثر من صلاحيتهما وصفاً للكلام. وفي الموضع نفسه ذكر المترجم ما نصه: «ليس في القرآن من مفردات غير قرشية سوى ثلاث كلمات»، وأعتقد أن الباحث أو القارىء لا بد أن يتوق إلى معرفة هذه الكلمات، ولكن المترجم لم يرجع إلى النص في مصدره. والكلمات المقصودة هي: «فَسَيُنْغِضُونَ» (الإسراء ـ ٥١)، وهي بمعنى يحركون رؤوسهم، و«مُقِيتاً» (النساء ـ ٨٥)، بمعنى مقتدر، و«فَشَرِّدْ بِهِم» (الأنفال ـ ٥٧).

وانظر معي أيضاً هذا النص الذي ابتسره المؤلف وتبعه المترجم دون الرجوع إلى

أصله، وقد جاء في الإتقان (ط البابي الحلبي، ط الثانية ١/ ١٣٥) لبيان حكم القراءتين في الآية الواحدة، وهو: «حكى أبو الليث السمرقندي قولين: أحدهما أن الله قال بهما جميعاً، والثاني أن الله قال بقراءة واحدة، إلاّ أنه أذن أن تقرأ بقراءتين ثم اختار توسطاً وهو أنه إن كان لكل قراءة تفسير يغاير الآخر فقد قال بهما جميعاً، وتصير القراءتان بمنزلة آيتين مثل: «حَتَّى يَطْهُرْنَ» (البقرة ــ ٢٢٢). وإن كان تفسيرهما واحداً، فإنما قال بأحدهما، وأجاز القراءة بهما لكل قبيلة على ما تعوّد عليه لسانهم فإن قيل: إذا قلتم إنه قال بأحدهما، فأيُّ القراءتين هي؟ قلنا التي بلغة قريش». وقد جاءت ترجمة هذا النص ص٥٤/ فقرة ص كالتالي: «ويستعمل أبو الليث السمرقندي عنصر اللهجات في نقد النصوص فيقول: اذا اتفق معنى قراءتين فإن هذا يدل على أن النبي قرأ بواحدة منهما ولكنه سمح لأبناء القبائل الأخرى بتلاوة القرآن وفقاً لاستعمالاتهم اللغوية. فإذا سأل سائل إذا قلت بأن النبي قد قرأ بطريقة واحدة فما هي هذه اللهجة؟ قلنا إنها الطريقة التي تتفق مع لهجة قريش». وهذا الكلام عندما تقارنه بالنص الأصلي تجده أقرب إلى التلفيق الصحفي قام به المترجم مريحاً نفسه من عناء ترجمة النص الإنجليزي بلفظه، ومن الرجوع إلى النص الأصلي العربي؛ إذ النص الذي ذكره المترجم ينقصه الدقة والتفصيل اللذان جاءا في النص ا لأصلي.

وهناك نص آخر أورده المؤلف نقلاً عن النيسابوري الذي أخذه عن ابن فارس من كتابه الصاحبي، وقام المترجم بنقل النص إلى العربية دون الرجوع إلى أصله في مصدره وهو كتاب الصاحبي الذي جاء فيه: «كانت قريش أجود العرب انتقاء للأفصح من الألفاظ وأسلسها على اللسان عند النطق، وأحسنها مسموعاً، وأبينها إبانة عن النفس ومن أفواههم أخذنا العربية الفصحى..» وقد جاء مترجماً عن النص الإنجليزي كالتالي: «إن قريشاً تفوق كل العرب في دقة اختيارها للألفاظ، فقد كان كلامهم سهلاً سائغاً، وكان لهم إحساس مرهف باللغة وقدرة فائقة على التعبير عن أفكارهم ومن أقوالهم دوّنت الفصحى». وهذه رواية بالمعنى لا باللفظ، والفرق بينهما واضح فإن قوله: كانت قريش أجود العرب انتقاء للأفصح من الألفاظ، غير قول المترجم: إن قريشاً تفوق كل العرب في دقة اختيارها للألفاظ، فالدقة غير الفصاحة، وهكذا....

ومن هذا القبيل ما ابتسره رابين ص٧٤ حين ذكر قصة الأعرابي الذي أساء فهم

كلمة «وثب» الحميرية حيث جعل الملك الحميري يقول: «ليس عندنا عربيت». وكنت أتمنى على المترجم أن يذكر الحكاية بالتفصيل كما وردت في كتب التراث، وهي كما جاءت في اللسان مادة وثب: «الوثْب القعود في لغة حمير، ودخل رجل من العرب على ملك من ملوك حمير فقال له الملك: ثب أي اقعد، فوثب فتكسَّر. فقال الملك: ليس عندنا عربية كعربيتكم، قال ابن سيده: وهو الصواب عندي، لأن الملك لم يكن ليخرج نفسه من العرب».

ويذكر المؤلف رابين فيما أورده المترجم ص٩٩: «إن استعمال الأداة أم في لغة حمير وفي نقوش الهمداني وفيما قالته أم وهب» ويجدر هنا أن يبيّن المترجم من هو وهب؟ وماذا قالت أمه؟ ووهْب هو ابن منبِّه وقد قالت والدته: «رأَيْتُ (أي رأيت) بنحْلَم كوَلَدْتُ (أي ولدتُ) ابناً من طيب».

ثانياً: وما يتبع هذا الأمر أو يعتبر من قبيله مما أهمله المترجم من عدم توثيقه أبيات الشعر أو تحقيقه ، خاصة أن المؤلف كان يعالج أمثلة أو شواهد لغوية يقتبسها من أبيات من الشعر لا يذكرها، وكان على الأستاذ المترجم أن يبحث عن هذه الأبيات في مظانّها ويذكرها في الهامش. مثال ذلك ما جاء في ص٣٣ من أن الأندلسي يعتقد بأنه سيجد في الشعر كي بمعنى كيف، وإما أن يكون هذا في لهجة الشاعر أو أن الفاء قد سقطت للضرورة الشعرية. (نقلاً عن الاستراباذي في شرح الكافية ٢/١١٧). ولم يذكر المؤلف بيت الشعر، وكان على المترجم أن يحقق المسألة في المرجع المذكور حيث يقول في شرح الكافية ٢/١١٧: «وجاء في كيف، كي قال:

أو راعيان لبعرانٍ شردْنَ لنا كي لا يحسان من بعراننا أثراً

قال الأندلسي: إمّا أن يقال هي لغة في كيف أو يقال حذف فاء كيف ضرورة». وفي موضع ثانٍ يقول المؤلف: «والكلمة المقترضة من اليونانية إقليد، أي المفتاح، مأخوذة من اللهجة اليمنية؛ لأنها وقعت في سطر شعري معزوٍّ إلى تبَّع» ولم يذكر بيت الشعر. وهنا لا بدَّ أن يظهر جهد المترجم؛ لأن القارىء في هذه الحالة يتوق إلى معرفة بيت الشعر الذي جاءت فيه

معرفة بيت الشعر الذي جاءت فيه هـذه الكلمة، وهو البيت الذي جاء على لسان تُبَّع حين حج البيت فقال:

وأقمنـا بـه من الـدهـر سَبْتـاً وجعلنـا لبـابـه إقليـدا

وكذلك يذكر المؤلف رابين ص٦٩: «إن الفعل (عطا) يُعَدَّى أحياناً بإلى» معتمداً على شرح شواهد المغني للسيوطي، ولكنه لم يذكر البيت الشعري الذي يشهد لذلك. وفات المترجم كذلك أن يرجع إلى المرجع المذكور ويقتبس الشاهد في الهامش وهو:

ويـومـاً تـوافينـا بـوجـه مقسَّم كأنْ ظبيـةٌ تعطـو إلى وارق السَّلَمِ

وشبيه بما سبق مـا ذكره رابين ص٧٤ من أن صيغة فُعَـال تأتي للمـذكر، كما هي للتانيث. وقد ذكـر أن ذلك قد ورد في معلقـة لبيد العامـري في البيت الثاني والخمسين، حيث اسم الكلب الـذكر سُخـام، إلى جـانب الأنثى كُساب. ولم يكلف المترجم نفسـه أن يذكر البيت في الهامش وهو:

فتقصَّـدت منها كُسـابٌ، فضرجتْ بـدم وغـودر في المكـرِّ سخـامهـا

ومما يستـدعي الرجوع إلى الشـاهد الشعري في مظـانّه وتوثيقـه، ما أورده المؤلف رابين وجاءت روايتـه مغلوطـة عند المترجم ص٧٨، ويحتـاج إلى تصحيح وتعليق، وهو الشاهد عل نطق أم بدلاً من أل التعريف العربية حيث ورد في الترجمة:

ذاك خليلي وذو يعـاتبنـي يرحـب ورائي بِـمْسَـهْم ومْسَلَمه

والروايـة الصحيحة كما أوردهـا البغدادي في شرحـه على شواهـد شرح الرضي على الشافية ٤/٤٥١:

ذاك خليلي وذو يعـاتبنـي يـرمي ورائي بـامْسَهمْ وامْسَلِمَـه

والفرق بين الـروايتين واضح، ولكن المترجم لم يحقق البيت، ولم يكلف نفسـه عناء شرحه فكلمة السَّلمه جمعها السَّلِم أو السَّـلام وهي الحجارة. وقد وردت رواية أدق من هذه في المرجع نفسـه ٤/٤٥٢، وجاءت كذلك في شرح الأشموني ١/١٩٢، منسـوبة إلى بجير بن عَنَمة الطائي وليـس ابن غنمة أو عَتَمه حيث يرى شـارح الأشموني أن النحاة قـد ركبـوا هذا البيـت من اثنين مع تغيُّر في صـدر أولهما والصواب في الأمـر أن ينشـد

كالتالي:

وإنَّ مــولاي ذو يعــاتبني   لا إحْنَــةٌ عنــده ولا جَــرِمَــهْ
ينصرني منك غير معتــذر   يــرمي ورائي بـامْسَهْم وامْسَلِمَــهْ

والجدير بالـذكر أن هذه اللهجة مـا زالت متداولة في اليمن في لـواء إب، وقد سمعتها من أحد طلابي بجـامعة صنعاء من سكان مـدينة جِبْلَة حيث يقول: امَّسجـد وامَّدرسة ولكن بكسر الهمزة. وقـد ذكر لي أحد الطلاب ان هـذه اللهجة موجودة أيضـاً في منطقة ذباب بلواء تعز وأنشدني قول شاعرهم:

حنَّــان على زعــرو   حتى امطيــور تبكي
وزعــرو قضى ستين   وامقلــب يبردشي

وزعـرو اسم رجل كان يتصف بـالشجـاعة على مـا يبدو، أو إنه محب. وامّطيـور وامقلب، أي الطيـور والقلب. ويبردشي أي لم يبرد قلب زعـرو حتى بعـد وصـولـه سن الستين.

وقد يذكر المترجم بيتاً من الشعر ص٨٢ نقـلاً عن الأصل الإنجليزي بصورة خاطئة في مثل:

مـا زال شيبـان شـديـداً خَبَصُـهْ   حتى أتــاه قِـرنُـه فـوقصُـه

وكان عليـه أن يرجع إلى نص البيت في مظانّــه، وخبصه الصحيح فيها حَبَصُــه وهو العدو الشديد. وفي رواية اللسان هبصــه وليس حبصه أو خبصه. والهبص هو النشاط والعجلة، والوقص هو الكسر.

وقـد نجد المؤلف رابين يقـول فيما أورده المترجم ص١١٢: إن سيبـويه يستشهـد ببيت من الشعـر يهجـو عنزة، وكـان شيئـاً جميـلاً من المترجم لو ذكـر هـذا البيت في الهامش حتى يضع القارىء في الصورة، والبيت لزياد الأعجم وهو:

عجبت والـــدهـــر كثيرٌ عجبُـــه من عَنَـــزِيّ سبَّني لم أَضْرِبـــه

ثالثاً: قد حدث في الآيات القرآنية مثل الذي حدث في أبيات الشعر، حيث كان المؤلف رابين يذكر رقم السورة ورقم الآية فيها، فمثلا في الفصل الرابع بعنوان اليمن، الفقرة «ر» يذكر رقم السورة بالأرقام اللاتينية xxxviii ورقم الآية ١٢٥. ويقوم المترجم في مثل هذه الحالة وغيرها بترجمة هذه الأرقام إلى أرقام عربية وينتهي الأمر عند هذا الحد. وهو لم يُصِب في ذلك، بل عليه أن يذكر اسم السورة ورقم الآية، وفي الهامش يذكر الآية؛ ليترك للقارىء فرصة للتمييز بين المعاني في مثل: كلمة بعل التي ترد بمعنى الرب في الآية الكريمة التي ذكر رقمها آنفاً وهي ﴿أَتَدْعُونَ بَعْلاً وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ﴾. وفي آية أخرى تذكر مع سورتها رقمياً فقط (Xi-72) أي سورة ١١ ـ آية ٧٢، والمقصود طبعاً الآية ٧٢ من سورة هود التي ترد فيها كلمة بعل بمعنى زوج، وهنا يفترض أن يذكر الآية بنصها وهي ﴿قَالَتْ يَا وَيْلَتِي أَأَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَٰذَا بَعْلِي شَيْخاً﴾. وأعتقد أن الاكتفاء بذكر أرقام السور والآيات لا يجدي القارىء نفعاً، بل قد يتركه في حيرة وضيق.

رابعاً: عدم عناية المترجم بشرح المصطلحات أو تفسيرها مثل المصطلحات اللهجية التي تصف ظواهر لهجية وردت في كلام بعض القبائل مثل: عنعنة تميم وتلتلة بهراء والرُّتَّة واللخلخانية في العراق وفشفشة تغلب وتضجع قيس وعجرفية ضبَّة، التي يمكن تفسيرها كالتالي: العنعنة: إبدال العين من الهمزة مثل: أأن ـــ أعن

التلتلة: وهي كسر حرف المضارعة مثل: تِعلم وتِدري

اللخلخانية: من لخ في كلامه بمعنى جاء به ملتبساً، وقيل هي العجز عن إرداف الكلام بعضه ببعض. وقيل هي عجمة ولكنه في المنطق كما ورد في اللسان. وأما في فقه اللغة للثعالبي ص٧٣ فهي مما يعرض في لغات أعراب

الشُّحر وعُمان كقولهم: مشا الله كان، يريدون: ما شاء الله.

والفشفشة: لم أجد لها تفسيراً عند أحد. وأما التضجُّع: فقيل إنه إمالة الحرف إلى الكسر. والعجرفية: جفاء في الكلام. والرُّتّة لها أكثر من معنى في اللسان كالعجلة في الكلام، وقيل هي قلب اللام ياء، وقيل هي العجمة، وقيل الأرَتُّ هو الذي في لسانه عقدة وحبسة.

وقد وردت أسماء كثيرة في النص الإنجليزي تحتاج إلى بيان مثل: المشناه وقد ذكرها المترجم دون تعليق أو تحقيق وهي: مجموعة القوانين غير المكتوبة التي جُمعت حوالي ٢٠٠ بعد الميلاد، وتشكل أساس التلمود اليهودي. وكذلك المليلاه العبرية وهي كتاب بالعبرية للمؤلف رابين يبحث في علاقة اللهجات العربية القديمة بالعبرية. ومثل ذلك السامخ ص٦٣ وهو أحد الحروف العبرية وهو غير السين وإن التبس لفظه بلفظ السامخ في مرحلة لاحقة.

ومثل ذلك مصطلح Proto - Arabic ص٥٣ وتفسيره أن بعض الدارسين يعتقدون أن العربية قد مرت في نشأتها بأكثر من مرحلة، ومرحلتها الأولى المسماة Pre - Arabic أي المرحلة التي كانت جزءاً غير منفصل عن السامية الأم. والمرحلة الثانية Proto - Arabic وهي المرحلة التي ذكرها المؤلف وبها استقلت العربية عن الساميـة الأم، ولكنها في هذه المرحلة لم يكتمل نضجها لتصبح لغة أدبية. وتأتي بعد ذلك المرحلة الثالثة وهي مرحلة النضج والاكتمال، أي اللغة التي تصلح للشعر والكتابة. ومثل ذلك مصطلح شعر الزوامل ص٧٥، والزَّمَل في اللسان هو الرجز، والزاملة بغير يُحمَل عليه المتاع والطعام، ويبدو أن المقصود بشعر الزوامل هو ما يقوله الشعراء في حداء الإبل في أثناء السفر مع القوافل التي تحمل فيها الإبل الأمتعة وعروض التجارة.

وكذلك وردت بعض الألفاظ المبهمة (ص٨٩) تحتاج إلى تفسير وشرح وهي: الغُتْم بمعنى النطق بلكنة أعجمية، والنُّوك بمعنى الحمق، والتعقُّد أي صعوبة الفهم. وكذلك تنوين الترنّم ص٧٩، وفي المغني (١ / ٣٧٧-٣٧٨) هو: الترنُّم اللاحق للقوافي المطلقة بدلاً من حرف الإطلاق الذي قد يكون الألفَ أو الواو أو الياء وذلك في إنشاد بني تميم. وقد صرّح سيبويه.. إنه جيء به لقطع الترنم، وإن الترنم هو التغني،

يحصل بأحرف الإطلاق لقبولها لمد الصوت فيها، فإذا أنشدوا ولم يترنموا جاؤوا بالنون في مكانها ولا يختص هذا التنوين بالأسماء، ومن أمثلته:

أقلّي اللوم عاذل والعتابن   وقولي إن أصبت لقد أصابن

والأصل العتابا وأصابا. وقد جاء في شرح الكافية ١ / ١٤: «وأما تنوين الترنم فهو في الحقيقة لترك الترنم عند بني تميم في رويٍّ مطلق».

ومثل ذلك الأصوات الأسنانية ص٧٧ مثل التاء والثاء والدال والذال فيقال: امْتعب، امْثلاثة؛ فلا تدغم لفظاً مع التالي لها مثل أل. وكذلك الصوامت الصفيرية كالسين والزاي فيقال: امْسيف، امْزهر، بعكس ما إذا كانت مع آل فإنهما يدغمان معها لفظاً. وكذلك الأصوات الهسيسية ،ص٩٩ كصوت السين وهي نوع من أنواع الأصوات الصفيرية. وكذلك المقطع المقفل ص١١١ وقد سماه المترجم المقطع المقفول أي من قَفَل وهو خطأ لغوي واضح ولم يفسره كذلك، وهو المقطع الذي ينتهي بصامت أو أكثر (أي: ص ح ص) مثل لَمْ (ل + فتحه + م) في حال وصل الكلام.

أما في وقف الكلام مع التنوين فيكون المقطع طويلاً مقفلاً بصامتين (أي: ص ح ص ص) مثل: بَحْرٌ التي يوقف عليها بَحْرْ.

خامساً: لقد ورد في النص الإنجليزي ما يستحق التعليق وإبداء الرأي فيه ولكن المترجم لأمر ما كان يتفاداه ويتجاوزه بأن لا يذكره أو لا يعلّق عليه، مثال ذلك ما ذكره المترجم ص٤٧ فقرة أ: «أما بقية أنحاء الجزيرة فقد كان لها لغة مختلفة تماماً عن الفصحى، وهذه اللغة هي الأصل الذي نشأت عنه اللهجات الحضرية» ووقف عند هذا الحد ولم يكمّل مقولة فوللرز التي يذكرها المؤلف رابين وترجمتها: «وهي التي نزل بها القرآن الكريم وأعيدت كتابته بأسلوب العربية الفصحى» وهكذا يرى فوللرز أن الفصحى التي رواها اللغويون العرب ووجدت في القرآن ونسج على منوالها الشعراء إنما هي مصنوعة وينكر أنها كانت حية في مكة، في عهده صلى الله عليه وسلم. وهل هذا حديث يمكن إهماله وتجاوزه وغض الطرف عنه وعدم الرد عليه؟! بل إن الدكتور عبدالرحمن أيوب قد ارتكب خطأين منهجيين أولهما: حذفه جزءاً من النص الأصلي. وثانيهما: عدم

تعليقه على هـذا الجزء. وكيف-يكون للمؤلف الجرأة-على الطعن في لغة قـرآننا ولا نملك الجرأة على الرد عليه؟!.

وأما ادعـاء فوللـرز بأن النحاة هم الذين اصطنعـوا ظاهـرة الإعراب إذ لم يكن لها وجود حقيقي في مكة، في رأيـه، فقد وجد من المستشرقين من يرد عليه مثل نولـدكه الذي أثبت أن النهايـات الإعرابية لا يمكن أن تكـون من صنع النحاة، ومـا قاموا بـه إنما هو تسجيل لما وجدوه في الشعر جاهليُه وإسلاميُه وفي القرآن الكريم.

وممـا ذكـره المؤلف في النص الإنجليـزي ص٢٠ وسكت عنـه المترجم ولم يأت على ذكره في النص المترجم ما جاء في الفقرة التالية: من ص٥٢ «لم يَصِف ثقيفاً إلا بالبراعة في استعمال القلم. وقد تكـون نسبة هذه الشهـرة إلى ثقيف ذات هدف سيـاسي..» وهنا يكمل المترجم الفقرة من عنده بقوله: هو أن تؤيد الفكرة التي شاعت من أن لغة القرآن حجازيـة» في حين أن المؤلف في النص الإنجليـزي قد ذكـر شيئاً آخر وهـو: «الترويج لإعجام الحجاج للقرآن الكريم» وهنـا لا بدّ لي أن أسجّل ملاحظتين أولاهما: أنه لم يجرِ على يدي الحجاج أية مراجعة أو تنقيح Revision للقرآن الكريم والمعلوم تاريخياً لدى الدارسين أن إعجام القـرآن الكريم أي نَقْطه قد حصل أيام ولايتـه على العراق بأمر من عبدالملك بن مـــروان، على يـدي نصر بن عـاصم الليثي ويحيى بـن يعمـر العـدواني وثانيهما: هي أن الأصوب في ترجمة Revision الإنجليزية هي كلمـة الإعجام العربية، وليس التنقيح أو المراجعـة ليصبح الأمـر أقـرب الىَ مـا ثبت تـاريخيـاً؛ لأن التنقيح أو المراجعة يوحيـان بما أراد فوللرز الترويج له وبموافقة رابين لـه. وهكذا يكون المترجم قد سمح لنفسه التغيير في النص الإنجليزي الذي هو:

to give wider currency to Hajjaj's revision of the koran

وقد قـدمت ترجمتهـا بإيجاز غير مخل وهو بعيد عن قـول المترجم: «تؤيـد الفكرة التي شاعت من أن لغـة القرآن حجازية» فـانظر، وتأمل أخي القارِىء، مـا وقع فيه من خطأ علمي ومنهجي.

وقد ورد في الفصل الرابع الفقرة d في النص الإنجليزي ص٢٧ كلمة «بعل» بمعنى الـرب: «وأنها بهذا المعنى يمكن أن يكـون محمـــد (ﷺ) قـد اقترضهـا من العـربيـة الجنـــوبيـــة».. «..In this sense the word may have been borrowed by Muhammad..»

وانظر كيف ترجمها الدكتور أيوب ص٦١: «وقد تكون الكلمة القرآنية اقتراضاً من العربية الجنوبية» وهكذا يتغاضى مرة أخرى عن النص الأصلي ويسكت عن هذا السم الذي بثه رابين؛ لأنه بإسناد الاقتراض في القرآن الكريم لسيدنا محمدٍ صلى الله عليه وسلم ترويجٌ للمقولة المفتراة على القرآن الكريم وعلى الإسلام بأن القرآن من وضع محمد عليه الصلاة والسلام، وليس منزّلاً عليه؛ مما يعني أنه ليس نبياً مرسلاً من عند الله. ولا أستطيع تبرير إغفال المترجم لهذا النوع من الافتراء.

ومما تغاضى عنه المترجم كذلك في ص٦٤ ما سماه رابين في النص الإنجليزي بالسهل اليهودي في فلسطين. ومن الحقائق الجغرافية المعروفة أنه لا يوجد سهل بهذا الاسم في فلسطين.

سادساً: ما وقع فيه المترجم من أخطاء في الترجمة نفسها كقوله مثلاً ص٦٠ «الطبقة اللغوية السفلى التي سبقت دخول العربية لهذه المناطق كانت قليلة الشأن» وهو هراء لا معنى له، وأدق منه أن يقال: «إن المادة الأساسية من العربية السابقة على عربيتنا Pre - Arabic كانت طفيفة أو قليلة جداً». كذلك لقد جاء في ص٥٦ (فقرة ظ) ما نصه مترجماً: «أنا أفصح العرب بيد أني من قريش ونشأت في بني سعد» ثم يردفه المؤلف وينقله المترجم: «ولهذا الحديث في رأيي تفسير واحد هو: لولا أني من قريش ونشأت في بني سعد لكنت أفصح العرب أو رغم أني من قريش ونشأت في بني سعد فأنا أفصح العرب» ومن يقرأ هذه الترجمة يدرك خطأها فلا يفهم منها سوى عكس ما أريد منها؛ فما أورده المترجم يعني أنه ﷺ ليس بأفصح العرب لأجل ولادته في قريش ونشأته في بني سعد، وحاشاه أن يكون الأمر كذلك. وعليه فإن الترجمة الصحيحة، التي يستفاد منها أنه أفصح العرب بسبب ولادته في قريش ونشأته في بني سعد، وهو الأمر الطبيعي، هي كالتالي ترجمة لقول المؤلف: «ينبغي أن أكون من أفصح العرب من أجل أنني ولدت في قريش ونشأت في بني سعد» أو ربما نفهم منه أيضاً: «أنا أفصح العرب لأنني ولدت في قريش ونشأت في بني سعد، ويعزو ابن هشام سبب ذلك إلى البيداء» وينتهي كلام المؤلف وقد حذف المترجم منه قوله (ويعزو ابن هشام سبب ذلك إلى البيداء). ومما يؤيد ترجمتي السالفة هو ما أضافه رابين في الهامش ما ترجمته «يمكنني أن أعتبر أن

(نشأت) بمعنى قد نشـأت وذلك يعني: أنني أتكلم بأفصح عربيـة؛ وذلك لأنني ولدت في قريـش ونشأت فيما بعد في سعـد» و إن مراجعة دقيقـة من المترجم كانـت ستجعله يدرك خطأ ما نقله في ترجمته.

وقـد ورد خطأ آخـر للمترجم ص٦٩ حين يـذكـر في الفقـرة ز: «وفي لغـة اليهـود الصفديين في غرب أوروبا» والترجمة الصحيحـة هي: «واليهود الشرقيون (السفارديم) في غرب أوروبا» وعليه يكـون قد ترجم كلمة Sephardic التي وردت في الأصل بكلمة «صفديين»، وكأنه لا يعلم أن اليهود قسمان سفـارديم وهم الشرقيون وأشكنازيم وهم الغربيون، ولا محل لكلمة الصفديين هنا.

وفي موضع آخر ص٩٧ نجده يأتي بكلمـة أخرى وهي (بربري) التي لا محل لها في قـولـه (أقصـد المترجم): «ومن هـذا يمكن أن نفترض أنّ معنى طمطيم كـان في الأصل ضعيف العقل ثم تطـوّر إلى بـربـري» والترجمة الصحيحـة في رأيي هي: «ربما كـانت طِمْطِم (وليس طِمْطِيم كما وردت عنـد المترجم) في الأصل، الأحمق أو الأبلـه وبعـد ذلك صارت تعني الغُتْم وعدم الفصاحة» وعليـه فكلمة بربري لا معنى لها هنا، إلّا أن يكون المترجم قد نقل الكلمـة الإنجليزية نفسهـا أي بلفظها دون معناهـا. وأما ما ذكـره لكلمة طمطيم وليس (طِمْطِم) فلأنه لم يرجع إلى نص البيت الـذي قاله عنتره، وإنما اعتمد على الضبط الأجنبي لها فخُدع، والبيت هو:

تأوي لـــه حِـــزَقُ النعـامِ كأنها   حِـــزَقٌ يمانيـــةٌ لأعجـمَ طِمْطِمِ

والبيت له أكثـر من رواية في اللسان وفي صحاح الجوهـري، والحِزَقُ هي الجماعات أو الفرق.

ونجده كـذلك يـذكر مصطلحاً آخـر لتغويـر القاف أي النطق الحنكـي لها ويسميه التصليب الإدغـامـي ص١٠٨ وهي تـرجمة بعيـدة عن المعنـى المقصـود، في رأيي. وفي الصفحة نفسهـا يترجم القات ،وهو النبات الـذي يمضغ في اليمن، بقوله: « قـات النبات المخدر المستعمل في اليمن» والقات لا يخدّر عند استعماله بل يقوم بعملية تنشيط ذهني كما يقول اليمنيون فكـان طلابي في الجامعة يستعينون به في أيـام امتحاناتهم ليعينهم على السّهر والاستيعاب.

ومن متابعته المؤلف فيما وقع فيه من خطأ ما أورده ص١١٣ في رواية البيت التالي:

وقــال ربيعهم لمّا أتـانـا بكفه فُومَةٌ أو فومتان

والصحيح فيها «ربيئهم» وليس ربيعهم فلو رجع إلى النص في مصدر تراثي كاللسان لوجدها كذلك؛ لأنه لا معنى لوجود ربيعهم، وكان عليه أن يشك في الأمر.

سابعاً: وهو مما يمكن إلحاقه بالملاحظة السابقة ويتمثّل فيما أورده المترجم من أخطاء في الأعلام، فمثلاً في ص٧٦ ترجم بدو المخا إلى بعض مخاء، والمخا ميناء يمني غرب مدينة تعز بحوالي ٧٠كم ويقطن حوله بدو. وفي ص٧٨، يذكر المترجم نمر بن طولب بدلاً من النمر بن تَوْلب، وهو خطأ ناتج عن عدم رجوعه إلى النص الأصلي. وفي ص٨٩ يذكر: خَضر وسحّلان ويحضب والصحيح فيها: حضر وسخلان ويحصُب كما وردت في كتاب صفة جزيرة العرب للهمداني. وفي ص٩٠ يضبط كلمة زُبَيد بضم الزاي وفتح الباء والصحيح فيها فتح الزاي وكسر الباء أي زَبِيد وهي مدينة يمنية مشهورة بالعلم والعلماء في علوم اللغة والدين الإسلامي. وفي ص٩٢ يذكر المترجم: ظنفر بدلاً من ظفار، والكُلَع بدلاً من الكُلاع، وقتب بدلاً من قتاب، والمعافير بدلاً من المعافر، و أَبْيان بدلاً من أَبْيَن وكلها مناطق في اليمن. وكذلك يتكرر عنده قوله اليمن الشمالية بدلاً من شمال اليمن، وهو خطأ واضح لأنّ المؤلف رابين لا يقصد المصطلح السياسي وإنما يقصد التقسيم الجغرافي اللغوي؛ لأنه يفرد فصلاً خاصاً بعنوان اليمن، وفصلاً آخر بعنوان شمال اليمن.

كذلك يذكر في ص١٠٠: السبيحي ورايما وياريم متّبعاً فيها الضبط الأجنبي والصحيح فيها: الصبيحي، ورَيْمَه ويريم، وهي أسماء لقرى يمنية.

وفي ص١١٣ يذكر اسم الشاعر يعلى بن الأحول الشكري، أو اليشكري، الأزدي وهو الاسم الصحيح للشاعر كما جاء في الخصائص ١/١٢٨، خطأ حيث يورده يعلو بن الأحوال الشكري. وفي الصفحة نفسها يذكر كذلك قبيلة كلب بدلاً من كلاب، ولو رجع إلى النص الأصلي في شرح الكافية ٢/١١ لوجدها: «بنو عقيل وكلاب يجوّزون حذف الوصل».

ثامناً: يذكر المؤلف أحياناً بعض السمات اللهجية المتوارثة ولا يضرب مثلاً يوضحها من اللهجات الحديثة، ويعفي المترجم نفسه كذلك من هذا الأمر. مثال ذلك ما يورده ص٤٠ عن المميز اللهجي ـ كُ الحميرية، ولا أعتقد أن القارىء مهما بلغت درجة استيعابه أن يفهم هذا المميّز دون أن يوضح بمثال. وهي ظاهرة لهجية مميزة في اليمن في منطقة إبْ، حيث سمعتهم يقولون: قا قُلْك لك، وأخذْك وَحفَّظْكها الدرس، أي: قد قلتُ لك، وأخذْتُ وحفَّظْتُها الدرس.

وفي مكان آخر ص٦٥ يذكر المترجم: إنّ الفتحة الطويلة لا تتحوّل إلى ضمة نصف ضيّقة أو ضمة طويلة، في أيّ مكان في اليمن. والأمر عند القارىء بحاجة إلى توضيح هنا أيضاً، ويجدر بالمترجم العربي أن يغتنمه ليفيد قارئه العربي. والتوضيح كما استوحيته من كتاب فقه اللغات السامية لبروكلمان ص٥٣ (ترجمة د. رمضان عبد التواب) وبيانه: لا يحصل في اللهجة اليمنية أن تتحول الفتحة الطويلة (الألف) في مثل كلمة (سالم) إلى ضمة طويلة، أي تصبح (سولم) كما يحدث في العبرية والآرامية الغربية أو السريانية الغربية حيث تتحول a إلى ō ، فمثلاً (قاتِل) العربية نجدها في العبرية qōtēl وفي الآرامية الغربية Kōtel.

ويذكر المترجم الشنشنة ص٩٨ وهي قلب كاف المخاطبة شيناً، وهي ظاهرة لهجية «تشيع في العربية الجنوبية الحديثة التي تقلب الكاف شيناً دون شروط، وفي لهجة حضرموت تصير الكاف الأخيرة شيناً في بعض الحالات مثل: عليش ـ عليك». والحقيقة في هذا الأمر أن الكاف التي تقلب شيناً ليست أية كاف أخيرة وإنما كاف المخاطبة فقط وهي الشنشنة، وهي غير الكشكشة التي تقلب فيها الكاف حرفاً مزجياً دون شروط أقرب إلى لفظ الحرف اللاتيني H ولم يجد علماؤنا القدامى حرفاً أقرب إليه من الشين فرسموه شيناً. والشنشنة مسموعة ومعروفة في جنوب اليمن وقد سمعتها بنفسي من رجل في تعز، و هو يسأل طفلة صغيرة كانت تبكي فقال لها: مالِشْ؟ بشين محققة تماماً، وهي لهجة معروفة في حضرموت. وقد ذكر لي أحد طلابي في كلية التربية ـ تعز شيئاً من أغنية معروفة عندهم:

يا مَرْحبا بِشْ وبْهَلِشْ